في حين الوجدان وجعل الغفلة ووسائلها في جنب الخسران ثم على قدر قوة
الجاذب الى العبادة تكون قوة الطلب وبحسب قوة الداعي الى الغفلة
تكون شدة المنع وما اشكل على السالك من ذلك عرضه على نفسه فما تشوفت
له وفرحت به وحرصت عليه في الاغلب فهو من قبيل المذموم وما صعب عليها
وثقلت عنه وكرهته في الغالب فهو من قبيل المحمود وفي ذلك قول النبي صلى
الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات واذا تقرر هذا
فلا يغرنك ما يورده بعضهم في جواز مطلق السماع من اغاليط الاستدلال
حين يلبس الممنوع منه بالجائز بنوع من الاحتيال مع ما يستند اليه في ذلك
من الطيبة التي تجدها بانبعاث الطباع حين يجعل ذلك فضيلة من فضائل
السماع وهيهات هيهات لا يغالط الله بالتزهات وبادارة التقسيم على
انواعه يظهر لك جائزه من ممنوعه وفي ذلك ان السماع باعتبار انواعه
ثلاثة اقسام قسم ممنوع باتفاق وقسم جائز باتفاق وقسم فيه
خلاف فاما الممنوع باتفاق فهو ما اضيفت اليه الملاهي كالمزامير
ونحوها ويظهر لك منعه من وجوه منها ان الله عز وجل خلق الانسان
وركب فيه طباعا مختلفة من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وجعل
في كل نوع منها انفعالا لضده ولهذا رتبت المزامير والاوتار
والالات على نغمات مختلفات في الحدة واللين حتى صارت طباع الانسان
تتاثر لها بضدها ما من ذلك بما غلب عليها هذا التاثير
شيء انضاف اليه من ابراز النغمات بنوع من الاحكام او زيادة
من مزمار او نقر ونحو ذلك حتى امال الطبع عن الادراك ومال بها الى
الذهول استغراقا في التذاذها ولذا الذي يعالج الاطباء من العلل
السوداوية بالاصوات الطيبة والالات المطربة لينال بذلك
استغراقا في الطلب وذهولا عن الافكار الردية فتنحجب له
قوى الدماغ ولا شك ان هذا وما جرى مجراه مناف لمعنى العبودية
مناف لحضور القلب مع الله تعالى بتدبر اياته وتذكر وعده

ووعيده

ووعيده والغناء يضايع توحيده ولا شك ان ما يلهي عن ذكر الله ويشغل
عنه فانه ممنوع ثم المنع يكون بحسب الالهاء والاشتغال ولما كان
المطلوب من العباد القيام بامر العبودية وامور العبودية لا تقوم الا
باعتدال العقل واعتدال العقل وسيلة الى الاتيان بوظائف العبودية
على سبيل العدل والاعتدال الطاري المعارض لذلك ممنوع ثم انحراف
الطباع له اسباب منها اكتسابية ومنها غريزية اما الغريزية فالعبد
مطلوب برياضة نفسه ومجاهدتها فيما يخرجها من الاعراض والتعويد
الى الاعتدال كاخراج الطباع من التهور والجبن الى الشجاعة ومن البخل
والسعي الى السخا وامثال هذا كثير واما الاكتسابية فمما يدخله
الانسان على نفسه من الامور التي تخرج الطباع فيمنع في العقل فيختل
نظام العبودية كشرب الخمر والاستمرار في اللهو والاستغراق
في الغفلة ونحو ذلك فالعبد مطلوب باجتناب ما يذهل عن الله
ويصد عن سبيل رضاه وبحسب قوة الميل عن الحق تكون قوة المنع
وهذا كله لا يجهله من اطلع على ما يقتضيه الكتاب والسنة من الدعوة
الى الله والاقبال بطاعته ولما ابرك ميل الطباع بشرب الخمر حتى
بلغ الغاية اغلظ في منعه بالتحريم كذلك ما يجري مجراه وقد اشار
الفقهاء الى هذا المعنى بقولهم اياكم والغنا فانه يزيد في الشهوة
ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر وهذا
المعنى صحيح فان الغنا وان لم يفق قوة الخمر فلا يخلو عن شائبة منه
او صابه والاولى ينظر من خطر الغنا الى نفسه اذا تحركت الالة المطربة
بمزمار ونقر ونحو ذلك كيف تجد طباعهم تنبعث وتتحرك ثم تنحو
بالكلية الى الاصغاء لذلك وان لم يكن الذي فيه الغزل بشيء ثم
بحسب ما يزيد في ذلك من النغمات بتقطيع الاصوات والاوزان يكون
الاستغراق حتى ان الانسان ليحدث او يحدث بحضرته فلا يسمع وان
سمع فبغفلة لاستغراقه في الطلب حتى ان بعض الناس لمن يغلب عليه

Copyright © King Saud University